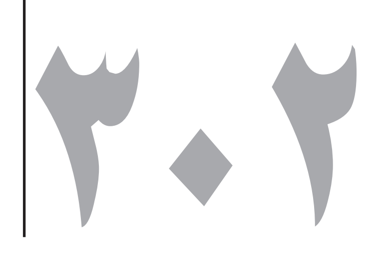
حوار العدد

حوار العدد مع

الأب إلياس زحلاوي: الوحدة الوطنية في شخص

إعداد: عادل أبو شنب

حوار العدد



الأب الياس زحلاوي: الوحدة الوطنية في شخص

حاوره: عادل أبو شنب *

أكثر من مواطن اقترح عليّ أن أستضيف الأب الياس زحلاوي لأحاوره، بينهم رئيس التحرير الدكتور علي القيم، فسعيت إليه، لكنه كان في وضع صعب، أخته مريضة، وهو يلازمها في مستشفاها من الثامنة صباحاً حتى العاشرة ليلاً، مع ذلك استقبل دعوتي للحوار بإيجابية مشهودة، فكان هذا الحوار الذي أوصاني أن يؤخذ بنصه كاملاً.

* باحث سوري



إن الأب الياس.. هو الوحدة الوطنية متجسدة في شخص رجل دين. وهذه أجوبته تدل على ذلك، وعلى ثقافته العالية:

- أعرف أنك منفتح، من موقعك الكنسي، على العروبة والإسلام.. فهل تروي على قرّاء «المعرفة» ملابسات هذا الموضوع ؟

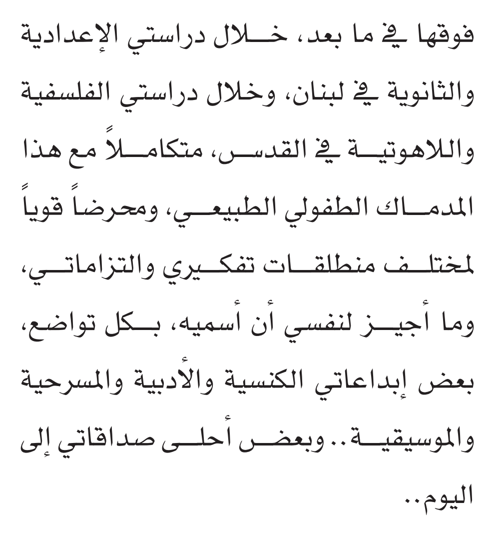
• دعني أصارحك باستغرابي لطرح مثل هذا السؤال. فأية غرابة في انفتاح رجل كنيسة على العروبة والإسلام ؟ قد يكون لك - وربما لكثيرين !- ما يبرر هذا الاستغراب. إلا أن الحقيقة التي لازمتني العمر كله، منذ أبعد ذكريات الطفولة، جعلتني أعيش هذا الانفتاح على أنه أمر طبيعي، لازم أحاسيسي وحياتي، تلازم الرؤية للعين والتنفس للرئة، ثم تَفتّح، بمرور الزمن وتراكم الخبرات الروحية، والتحصيل العلمي والثقافي، مفهوماً كلياً تغلغل في ثقافتي وفكري وعملي وكتابتي وصلاتي، ونظرتي إلى التاريخ والحياة.

فأنا أعي الإسلام، منذ طفولتي الأولى في حي القصاع القديم المتداخل مع الغوطة، صداقات عاشها أهلي وأقربائي مع جيران الحارة : «أبو محمد» الطيان، و«أم وحيد».. كما أعيه ألعاباً نغيب خلالها، أحياناً في بساتين «أبو حمزة» و«أبو علي»، مع أبنائهما وبناتهما وأحفادهما، وكأننا أولاد أسرة واحدة، أولاد يعرفون حتى اليوم نشوة اللقاء والمودة والخدمة المتبادلة.

وعرفت الإسلام أيضاً في بيت أهلي، عملاً ومن ثم صداقة بين عدد من الفتيات المسلمات والمسيحيات، يعملن في ورشة الخياطة التي كانت أختي الكبرى، على صغر سنها، تديرها كل يوم في بيتنا الصغير والمتواضع، وكأنها أسرة واحدة، ولو لساعات..

أما العروبة، فقد عرفتها أيضاً طفلاً، من خلال المظاهرات التي كانت تجوب شوارعنا، تندد بالأجنبي، والتي مازالت بعض شعاراتها، إذ أتذكر، تترجّع أصداؤها، بل كلماتها، إلى اليوم، في أذني وأعماقي.. وعرفت العروبة أيضاً وخصوصاً في مدرسة الطفولة، حيث كانوا يصرّون على تعليمنا أن سورية تتألف من أربع دويلات، يطلب إلينا أن نذكرها بمدنها الرئيسة: دمشق، حلب، اللاذقية، السويداء، فيما كان يروى لنا خارج المدرسة أن هناك من قاتل ويقاتل لإنقاذ سورية مما يراد لها من تمزيق، وللإبقاء على وحدة ما تبقى منها..

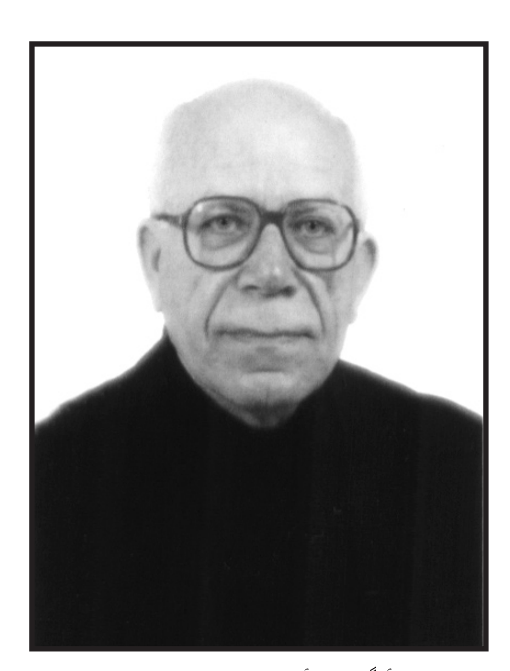
ولكم أشكر الله أنه وضع، من حيث لا أدري، هذه الأسس في أعماقي، فجاء ما بني



فوقها في ما بعد، خـــلال دراستي الإعدادية والثانوية في لبنان، وخلال دراستي الفلسفية واللاهوتيـــة في القدســ، متكامـــلاً مع هذا المدمـــاك الطفولي الطبيعـــي، ومحرضاً قوياً لمختلـــف منطلقـــات تفكـــيري والتزاماتـــي، وما أجيـــز لنفسي أن أسميه، بـــكل تواضع، بعض إبداعاتي الكنسية والأدبية والمسرحية والموسيقيـــة.. وبعضـــ أحلـــى صداقاتي إلى اليوم..

- شاركت حمزة شكور في حفل (مشترك) مسيحـي- إسلامـي، في بطريركيـة الـروم الكاثوليـك. هـل يمكـن أن تـروي لنـا هـذه القصة؟ ولماذا هذا الحفل؟

• لا يحتاج المرء إلى علم كثير كي يعرف أن الناس -كل الناس!- حوّلوا الله، عبر تاريخهم الطويل، إلى «بعبع» يغذون به أحقادهم، وكثيراً مـــا يبررون به ما قام ويقوم بينهم من شكوك وانقسامـــات، بل وحروب غبية دامية.. وكنت كثـــيراً ما أتساءل: أما مـــن سبيل إلى التوجه إليه، هو الحقيقـــة الوحيدة التي يعترف بها الجميع، والتي لا قبلها ولا بعدها حقيقة، في صلاة مشتركـــة، وفي ترنيم مشترك، يذكرانا بما له علينا جميعاً من طاعة حقيقية وتقديس عملي، وبما يترتب بالتالي علينا حيال بعضنا



البعض، أياً كنا وأنى كنا، من احترام وتكريم، بـــل ومحبة؟ وكان ما جـــرف ويجرف جميع المجتمعات، قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، من غليان ديني، بل وتطاول على الفكر والحياة، يثير حـــزني ومخاوفي، ويحفز لديّ الرغبة في القيام بمبادرة ما على هـــذا الصعيد، مهما كانت عصية على إدراك البعض، ولاسيما من يعتلون بعض المناصب! فكان ما راهنت عليه من أجل الإسهام، ولو بنزر يسير جداً في إنقاذ بـــلادي العربية مما يعدّ لهـــا ومما يتهددها في الداخـــل، هـــو أحد أهم دوافعـــي لإنشاء جوقة الفرح. فقـــد شئت هذه الجوقة جسراً بين الإنسان والله، الإنسان المسيحي أولاً، ثم

الإنسان المسيحي والمسلم، ثم الإنسان العربي وغير العربي.. ولذا، كنت قد طلبت من الفنان الكبير وديع الصافي، لحظة لقائي الأول به، أن يضع لنا ألحاناً شرقية صرفة، بعيداً عن أي نمط موسيقي كنسي، لتأخذ طريقها إلى آذان وقلوب الكثيرين، من مسيحيين ومسلمين.. وهكذا كان.. ولما كنا في الجوقة قد قطعنا شوطاً بهذه الأناشيد الجديدة، لا بأس به، وفقني الله بصديق جمعني بالأستاذ حمزة شكور.. فوجدنا قلبينا متناغمين بالروح ذاتها، ومدفوعين بالحب نفسه. وسرعان ما قررنا عملاً مشتركاً، وشئنا له أن يكون ذا رمزية دينية وإنسانية كبيرة. فاقترحت على رئيسي الكنسي آنذاك أن نقيم أمسية دينية مشتركة في باحة كنيستنا الكبرى في حارة الزيتون. وحدّدنا تاريخاً لها في آخر أيلول المشؤوم من عام ٢٠٠١. وأتيح لي أن أهمس في أذن أحد المسؤولين في وزارة الخارجية كي يدعو السيد وزير الخارجية آنذاك، الأستاذ فاروق الشرع، مع السيد خافيير سولانا والترويكا الأوروبية، التي صادفت زيارتها لدمشق تاريخ إقامتنا هذه الأمسية. وهكذا كان. فاستمعوا إلينا مدة عشرين دقيقة تماماً.. إلا أن ما سمعت من مراسل التلفزيون البلجيكي، السيد جوزيف مارتان، يوجز على أكمل وجه، في نظري، ما حملوه في أعماقهم من يقين وسؤال. فقد قال بالفرنسية ما ترجمته بالحرف الواحد:

«كان على برلوسكوني، بدل أن يشتم الحضارة العربية والعالم الإسلامي، أن يأتي إلى هنا، ليردم هوة جهله!»

- نعرف أنك أسست فرقة كورال. ما هي قصة هذه الفرقة؟

• جميلة هي قصة جوقة الفرح. فقد بدأت في أمسية قدمت فيها جوقة أطفال فرنسيين، على مسرح سينما الزهراء بدمشق، في مطلع الستينيات، أمسية غنائية ولّدت لدي رغبة ترجمتها سؤالاً: ما يمنع أطفالنا من أداء ما أدى هؤلاء الأطفال الفرنسيون، ولكن في باريس ونيويورك وروما وسواها من مدن الغرب؟

وفي عام ١٩٧٧، عُيّنت كاهن رعية في كنيسة جديدة، هي كنيسة سيدة دمشق، في حي القصور.

فسارعت إلى مدرسة الرعاية الخاصة، وشرحت للراهبة المسؤولة مسعاي، فأذنت لي بتفحص أصوات عدد كبير من أطفال تتراوح أعمارهم بين ٤و ٦سنوات، على أن يكونوا قاطنين في جوار الكنيسة، كي أجنبهم مخاطر

الطرقـات. وشئتهم من جميع الطوائف المسيحية، كي تكون جوقة وحدوية.

وكتبت لذويهم رسالة أطلعتهم فيها على رغبتي في إحداث جوقة أطفال تحيي الطقوس الكنسية، فاستجاب لندائي خمس وخمسون عائلة. وبدأت التدريبات على الفور: ساعتان في الأسبوع. وفي ليلة ميلاد عام ١٩٧٧، رنم الأطفال فأبكوا الناس.. وتواصل التدريب. وبعد عام واحد. كان لنا معهم فرقة فلكلورية أتقنت في آن واحد إنشاد موشحات صعبة مثل «اسق العطاش» و«ملا الكاسات» على إيقاع رقصة السماح. وقدمنا حفلاً أدهش الناس، خلال ثلاثة أيام في «قاعة السواعد» قاعة كنيسة سيدة دمشق. وعندها، حاولت طرق باب جديد: فكتبت عدداً لا يستهان به من الرسائل إلى العائلات الإسلامية المجاورة للكنيسة، أعرض عليها فيها ضم أطفالهم إلى الفرقة الفولكلورية، يحدوني الأمل بأن تكون لنا، بعد سنوات قليلة، فرقة فولكلورية وطنية، تمثل شرائح المجتمع كلها. إلا أني لم أتلق أي جواب!

وتابعت الجوقة الكنسية مسيرتها. وأخذت تجتذب إليها مزيداً من الأطفال والفتيان والفتيات من مختلف الأعمار. وكنت أشرف على تدريبها بنفسي، إلى أن أصبت عام ١٩٨٧ بما أرغمني على التوقف عن التدريب، فعمدت إلى اختيار من يقوم بتدريب الجوقات الثلاث التي باتت «جوقة الفرح» تتألف منها.

وبذلك ظهرت مواهب جديدة لم ترضَ بما كانت عليه من علم وصوت، بل وسعت معارفها الموسيقية وعمّقتها في نطاق الموسيقى الشرقية والغربية على السواء، وسعت لإتقان العزف على عدد من الآلات. ثم استعنا بخبير روسي في مجال التدريب الصوتي، كما في مجال انتقاء وتدريب قادة جدد للجوقات كلها.

في هذه الأثناء، كنا قد اجتزنا عقبة ما كان لجوقة قبلنا أن تجتازها، عنيت بذلك الخروج من جدران الكنيسة إلى العالم الواسع. و لم يكن الأمر سهلاً، كما قد يبدو. فالتقليد الكنسي يعتبر الجوقة قائمة حصراً على خدمة الطقوس الكنسية. من ناحية أخرى، كان الأهل يرتاحون لوجود أبنائهم وبناتهم في الكنيسة، أما أن تكون الجوقة مجالاً لأداء موسيقي، ولو ديني، خارج الكنيسة. فذلك كان، في حدوده الدنيا، أمراً غير مألوف في نظر الكثيرين. فواجهتنا مقاومة شديدة، وإن

ضيقة، ولكن في نطاق نخبة متدينة متعلمة ومثقفة. إلا أن أصحابها لم يعتمّوا أن تراجعوا عنها، لاسيما بعد إصرار أولادهم على العودة إلى الجوقة. واكتشفوا ما ارتكبوا من خطأ، عندما سمعوا الجوقات في مختلف المناسبات تحيي أمسيات، دينية وفنية ووطنية، راقية، وتقدم فيها للناس هذا النمط الجماعي الجديد من الغناء والموسيقى، وتشحن من يؤديها من أطفال وشبان وشابات، بثقة متحفزة وفرح عارم، الكل في جوع إليه، وخصوصاً بنظرة جديدة إلى ذواتهم وإلى الحياة!

- يقال إن فرقتك جابت أوروبا وأميركا وأستراليا. وقدمت نموذجاً من التلاحم الوطني في سورية. فمتى كانت الرحلة، وكيف تمت، وما هي آثارها؟

• اسمح لي أولاً بإلغاء كلمة «فرقتك» من سؤالك، لأني لم أحلم يوماً بشيء لي، وإلا لما كنت اخترت الكهنوت منهجاً لحياتي، وترجمة لإيماني وحبي. أن أكون مؤسس «جوقة الفرح»، فهذا أمر معروف، إلا أن الجوقة عمل جماعي، اشترك في إنشائه الأطفال والشبان والشابات، والأهل والمستمعون والمشجعون والنقّاد، والفنانون الكبار من أمثال وديع الصافي وزكي ناصيف، والمؤسسات الإعلامية في سورية، كما اشترك فيه خصوصاً مناخ الاستقرار والتآخي والتلاحم الوطني في سورية.

وقد شئت، وشئنا في «جوقة الفرح» أن نكون جسراً بين الناس، داخل سورية والوطن، وأن نكون أيضاً جسراً بين سورية والوطن العربي من جهة، وسائر البلدان، ولاسيما بلدان الغرب الظالم والمسيطر، من جهة ثانية.

هذه الرغبات كلها، دفعتنا في وقت مبكر للقيام بجولة إلى إيطاليا وفرنسا دامت عشرين يوماً، في صيف عام ١٩٨٢، مع خمسين شاباً وشابة. وتبين لنا أنّا كنا بحاجة لإعداد أنفسنا على نحو أفضل.

ولم نعاود المحاولة إلا عام ١٩٩٥. غير أننا كنا قد أعددنا لهذه الجولة إعداداً جيداً جداً. وكانت قد نشأت ظروف دينية جديدة بين سورية والعالم، بسبب «ظاهرة الصوفانية» التي سآتي على ذكرها في الإجابة على السؤال الخامس، فتحت لنا باباً واسعاً من التعارف والتآخي الدينيين، ما كان لأحد أن يحلم به. وقامت الجولة بمئة وخمسة منشدين. واستغرقت ثلاثة وعشرين

يومـاً، قدمنا خلالهـا في فرنسـا وهولندا وألمانيا، واحداً وعشرين حفلاً -هذا الرقم لا يصدق!- دينياً وفنياً، بما فيه الحفل في معهد العالم العربي بباريس. وفي كل مكان كنا ننشد بالعربية، فيما الترجمـة بيد الحضور. وفي كل مـكان دون استثناء، كان الجمهور يصفق وقوفـاً. وفي أمكنة كثيرة، استقبلنا في البيوت ضيوفاً، لاسيما في فرنسا وهولندا. وحدهما كانـا غائبـين: الحضـور الرسمـي العربي والإعلام العربي. ووحدها إذاعة مونته كارلو استضافتنـا ساعة كاملـة. بالطبع مثل هذا الغياب المزدوج سبب غياباً آخر على الساحة العامة وقلّص كثـيراً التأثير المتوقع لمثل هذه الجولة. إلا أن أكثر ما أساء إلينا، هو تقاعس المشتركين في الجولة عن متابعة الاتصال مع من استضافوهم في بيوتهم في بساطة ومحبة، وكأني بالعطالة العربية الموروثة عادت فتغلبت على أهم نتائج هذا الإنجاز.

ثمـة نقطة هامة، هي تمويل هذه الرحلة المكلفة جداً.

مصادر التمويل ثلاثة فقط:

مساهمة شخصيـة من كل مشترك بلغت عشرين ألف ليرة سورية لا غير.

مساهمة من بعض الأصدقاء العرب، من مسيحيين ومسلمين، داخل سورية وخارجها.

المساهمة الكبرى جاءت من شاب لبناني، فلسطيني الأصل، دمشقـي المولد، وضع في تكتـم تام، في تصرفي مبلغـاً أعدت إليه منه بعد عودتنا، عشرين ألف دولار، وكان قد قدم كل ذلـك ضمن شرطين اثنين: الأول أن نخبر الأوروبيين بما يجري في حي الصوفانية، من حدث ديني خارق، يجمع المسيحيين والمسلمين جنباً إلى جنـب في صلاة ومحبة، والثاني، أن ترافق المجانية المطلقة جميع حفلاتنا.

ودعني أضيف أن هذه المجانية أتاحت لي في مطلـع كل حفل ولقـاء، مجالاً من الحرية التامة، بل القاسية، في كلامي بشأن العلاقات بين الشرق والغرب.

وعلـى الرغم من جميع هـذه السلبيات، نظمت رحلة ثانيـة في صيف عام١٩٩٦، إلى فرنسـا وبلجيـكا، شارك فيهـا (١٣٦) شاباً وفتـاة، دون الجوقة السابقة سنـاً. فقدمنا خـلال خمسة وعشرين يومـاً، عشرين حفلاً دينيـاً وفنياً، لاقـت كلها إقبـالاً وترحيباً لا يقلان عمـا لاقتـه الجوقة السابقـة. وقد استقبلت هي أيضا في بعض المدن الفرنسية، في البيوت، في فرح ومحبة. إلا أننا واجهنا في هذه الجولة أيضاً غيـاب السفارات العربية

والإعلام العربي. أما الإعلام الغربي، فلا يفاجئني غيابه البتة في كلا الجولتين، لأنه بكليته خاضع للهيمنة الصهيونية.

أما تمويل هذه الرحلة، فكان له مصدران لا غير:

الأول: مساهمة شخصية من كل مشترك بقيمة (٢٥٠٠٠) ل.س

الثاني: الشاب اللبناني إياه، وضمن الشرطين السابقين إياهما!

بعد ذلك، عبثاً حاولنا تنظيم رحلات إلى كندا والولايات المتحدة، حيث كنت أجد حماساً نارياً في حضوري، لا يعتم أن يتلاشى بعد غيابي. ولكم كانت رغبتي شديدة ببناء جسور مع هذين البلدين!

إلا أننا استطعنا أن نبني جسراً آخر مع أبعد قارة هي استراليا، بفضل مساعي أسقف سوري فيها، هو المطران عصام درويش. وقامت الرحلة في شهر نيسان من عام ٢٠٠٤م، بخمسة وخمسين شاباً وفتاة على نفقتهم الخاصة، على أن تكون الإقامة والمواصلات من شأن الأسقف واللجنة المنظمة. وقد دامت الرحلة عشرين يوماً، زرنا خلالها مدينتي سدني وملبورن فقط، وقدمنا حفلات كثيرة، وكما في الجولتين السابقتين، كانت حفلاتنا كلها غير مأجورة. وقد أتاحت لي هذه المجانية مخاطبة جميع من التقيناهم آنذاك في حرية ومحبة.

وكادت أن تقوم في العام نفسه رحلة قوامها مئة طفل، إلى عواصم أوروبة الكبرى: باريس ومدريد وروما وبروكسيل، ضمن برنامج مذهل بغناه وتنوعه. قلت: كادت أن تقوم، لأننا لم نجد سوى «اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة» تضع في تصرفنا (١٠٠٠٠٠) دولار في حال قيام الرحلة، في حين أننا لم نجد لدى من طرقنا أبوابهم، من يقدم لنا ما تبقى من نفقات، وهي (٢١٠٠٠٠) دولار لا غير!

أيعقل أن يجهض مثل هذا القدر من المال، مثل هذا القدر من الطموح الديني والفني والقومي، المشروع والضروري؟

- علمت أن وديع الصافي، المطرب اللبناني المشهور، صديقك، وأنه رتّل مع فرقتك في بعض الحفلات. هل يمكن أن تذكر لنا هذه الواقعة؟

• سؤالك عن وديع الصافي يثير سؤالاً كبيراً: من كان بوسعه أن يأتينا بمثل هذا العملاق المسمّى وديع الصافي؟ دعني أقولها بملء فمي: إننا مدينون في جوقة الفرح للسيدة العذراء، سيدة الصوفانية، التي جمعتنا به في

بيتها في آخــر يوم من عام١٩٨٤. جاء ليكّرم الأيقونـــة التي انسكب منهـــا الزيت لسنوات طويلة، ويكـــرم البيت الذي تحوّل حتى اليوم إلى مزار يأتيه الناس من شتى أرجاء الأرض، للتبرك والصلاة. منذ ذلـــك اليوم، بدأنا مع وديع الصافي مشواراً يحسدنا عليه الكثيرون، في مجانيـــة مطلقـــة، في فـــرح، في محبة وفي عطاء دائم. وقد توّجَنا هـــذا المشوار بحفلة استثنائيـــة أقيمت في كنيسة سيـــدة دمشق، مساء ١٩٨٨/١٢/٤، أنشد فيها وديع الصافي ورافقـــه في الإنشـــاد مئة شـــاب وفتاة. وقد أثـــارت هذه الحفلة عاصفة من الاعتراضات في الكنيســـة، إلا أنهـــا أقيمـــت، وصورهـــا التلفزيون العربي السوري، وأعاد بثها مرات ومرات، وحضرها العديـــد من المثقفين، من مسلمـــين ومسيحيين. فكانـــت بداية لمسيرة طويلة ومتشعبة، قادتنا إلى سورية ولبنان في مناسبات كثيرة، وكان وديع الصافي فيها كلها، هو هو، تألقاً في العطـــاء، وسعة في الإيمان، واتضاعاً في المحبة. وقـــد مهد لنا بحضوره الاستثنائي وألحانـــه المتميزة الجديدة، ولوج القلـــوب والبيوت العربيـــة، والتطلع إلى بناء الجسور مع العالم غير العربي.

- لماذا سميت فرقتك «جوقة الفرح»...؟

• إن اســم «جوقـــة الفـــرح» برنامج قائم بذاته. إنه وجه من وجوه التحدي الذي يشكل عشقـــي الأكبر في هذه الحياة. فهل من شيء أجمل مـــن أن تعلن الفـــرح والرجاء في زمن الياس والانهزام العربيين؟

ودعني أضيـــف بأن اختيـــار هذا الاسم جاء نتيجـــة مشاورات طويلـــة ومتكررة بين أفراد الجوقة، بما فيهـــم الأطفال، وأهلهم، والمسؤولون فيها.

- عـددت لـك حـوالي ٢٠كتابـاً، منهـا اثنان بالفرنسية، فهل أنت مؤلف؟ وما نوع مؤلفاتك؟ وهل ستصدر بعد كتابك الأخير «أمن أجل فلسطين وحدها»؟ كتباً أخرى؟

• أجـــل، كتبـــت. والكلمـــة بالنسبـــة إلي رسالة. وإلا فالصمـــت أولى. وكتبت باللغتين اللتين أتقنهمـــا: العربيـــة والفرنسية. كتبت لأقـــول شيئاً ما. كتبت لأقـــول إيماني كعربي وككاهن عربي. أقول إيماني بالله، بالإنسان، بالحياة، بالحق، بالعـــدل، بالحب، بالحرية، بالكرامة، بضـــرورة التحدي، بضرورة رفض التردي.. كتبت لأقول غضبي في وجه الكذب والازدواجية والظلم والسرقة والهروب.. وما

أوسع الأبواب يطرقها الإنسان، إذ يريد أن يقول حقيقة ما، في حرية، وصدق.. وكتبت مسرحاً، صوّرت عام١٩٧١م، كاهناً يقاوم في القدس الساكنة في عمقي، وتابعت كتابة المسرح ونجحت، والدليل على ذلك أن إحدى مسرحياتي، «وجبة الأباطرة»، لم يؤذن حتى اليوم بعرضها، وهي من عام١٩٨٥م! وترجمت للمسرح -لأن المسرح من أنجح أدوات التغيير في المجتمع- يوم تعذرت عليّ، لأسباب صحية، متابعة التدريس في المعهد العالي للفنون المسرحية.. وفي مطلع السبعينيات ترجمت للعنف بتكليف من وزارة الثقافة.. وكتبت خصوصاً في الشأن الفلسطيني، وهو هاجسي الأكبر.. ومن أجل فلسطين، كتبت رسائل احتجاج ومطالبة، مفتوحة وشخصية، إلى العديد من المسؤولين في العالم، وعلى رأسهم البابا الراحل يوحنا بولس الثاني، والرئيس شيراك والرؤساء كارتر وريغان وبوش، وبعض المسؤولين في كنائس الغرب. وكتبت بالفرنسية أيضاً كتابين طُبعا في باريس منذ عام١٩٩١، حول «ظاهرة الصوفانية»، التي أشرت إليها قليلاً في إجابتي على السؤال الرابع.. بالطبع مازال لدي الكثير أقوله، إن أتاح لي الله ذلك. فالكلمة هي ذات الإنسان، وما أعظم ما يستودع الله في ذات الإنسان، إذا أحب!

- ليكن سؤالي الأخير عن مولدك ونشأتك ودراستك، وكيف اتجهت إلى الالتحاق بالكنيسة؟ هل هو تصميم منك، أم من الأسرة، أم إلهام رباني؟

• فلأختصر: مولدي كان في حارة بستان الصليب التي أُزيلت في السبعينيات، امتداداً لشارع بغداد في اتجاه سوق الهال الجديد، في حي القصاع. وفي هذا الحي المطل آنذاك على الغوطة، نشأت طفلاً شديد المراس، يحب الطبيعة واللعب المنظم، ويهوى كرة القدم بجراب من قماش، والغناء، ويهب كتب الدرس من الاهتمام ما يؤهله لأن يكون بين الأوائل. وأتيح لي أن أواصل دراستي الإعدادية والثانوية في لبنان، في دير القديسة حنة، في بلدة رياق، حيث أفعمت بحب يسوع والإنسان معاً والمطالعة والسباحة والرياضة. ثم انتقلت إلى القدس مدينة يسوع، حيث عشقته وعشقت فلسطين، وحيث اكتشفت على نحو مفجع، منذ ذلك الحين، وخلال سنوات طويلة من الدراسة والمطالعة والتجوال

في جبال القدس وجوارهـــا، اكتشفت المأساة الفلسطينيـــة، وما تشكله مـــن مقياس نهائي لقيام العرب والعروبة، أو زوالهما..

وخـــلال دراستـــي في القدســـ مـــا بين عامـــي١٩٥٢ و١٩٥٩م، أمضيت عام ١٩٥٥-١٩٥٦م الدراسي، في فرنسا، في دراسة نفسية وفي خبرة إنسانيـــة، قررت في أثرهما اختيار الكهنـــوت سبيل حيـــاة لي في الشرق العربي، كي أكون حـــراً في خدمتي لله والإنسان معاً، ولذلك شئت كهنوتـــي متبتلاً. وما كان لأحد أن يضغـــط علي في هذا الاختيار، بل العكس هو الذي حصل. إلا أن حبي ليسوع والإنسان كان الأقـــوى، وهـــذا الحب بعينـــه هو الذي قـــادني ويقودني كل يوم وحتـــى اللحظة، إلى الإنســـان، كل إنسان، في حب واحترام وفرح. وإني اليوم، على ما أنا عليه من سن متقدمة، أشعرني كما لو كنت في أول يوم. فالطريق إلى الله تمتـــد أبداً، ولا تعـــرف نهاية. وهـي هـي الطريق إلى الإنسان!

☆ ☆ ☆